

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 58

الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم

المبحث: سورة الإنسان

التاريخ: 2023\11\22 م

كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال الحديث في الآية التاسعة عشر والمحطة السابعة والأخيرة في هذه الآية، وهي ترتبط بما جاء في ذيل الآية ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾.

التشبيه باللؤلؤ تكرر في الكريم مع الحور العين، ومع الغلمان، ومع الولدان. لكن الملفت للنظر أنه يوجد تفاوت، فمع الولدان كان تشبيههم باللؤلؤ المنشور، ومع الحور العين كان تشبيههم باللؤلؤ المكنون، ومع الغلمان كان تشبيههم أيضاً باللؤلؤ المكنون، فما هو السر في هذا التفاوت؟

شرحنا فيما سبق وجه التشبيه للولدان المخلدن باللؤلؤ المنشور لطوافهم حول المؤمنين وحول الأبرار وحسن وجوههم وصباحتها فشبههم الباري وتعالى أنهم لؤلؤ منتشر، وليس بمنتظم، بحيث ينعكس شعاع كل واحد منهم على الآخر.

أما في التعبير باللؤلؤ المكنون نلاحظ -مثلاً- في سورة الطور الآية الرابعة والعشرين ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾¹ وفي سورة الواقعة ﴿وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾².
أولاً: ما المقصود من المكنون؟

الكن والمكنون فيه هذه الخصوصية، ذكر في المكاسب في بحث بيع السلاح للأعداء، قسم السلاح إلى ما يكن وما لا يكن، فالدرع مما يكن والسيف مما لا يكن، وبعض الفقهاء قسم أنه لا يجوز بيع السيف الذي هو وسيلة للقتل ويجوز بيع الدرع الذي هو وسيلة للحماية. فالكن هو تخزين الشيء وحفظه.

عندما نصف اللؤلؤ بكونه مكنوناً، فهذا يعني أنه يوجد خصوصيتان:

¹ الطور: 24

² الواقعة: 22 - 23

الخصوصية الأولى: ترتبط بالصون والحفظ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾³ أي مصان ومحفوظ. إذاً الخصوصية الأولى التي نستفيدها من كلمة مجنون أنه مصون ومحفوظ.

الخصوصية الثانية: أنه يحافظ على صفائه؛ لأن اللؤلؤ المكنون، أي ما زال في محاره، ما زال في غلافه، وهذا من أفضل الأنواع حينئذ، يحافظ فيه على صفائه وعلى نقائه وعلى شعاعه وما شئت فعبّر.

وهذا المعنى يتناسب مع الحور العين، يتناسب مع التعبير ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾⁴ أنه ما زال هذا الشيء الذي شبه باللؤلؤ شبه باللؤلؤ المصون المحفوظ، والذي لم تعبت به الأيادي من جهة، وما زال على نقاوته من جهة أخرى.

فالأنسب مع الحور حينئذ أن يعبر باللؤلؤ المكنون.

هذا الأمر يشكل في سورة الطور، حيث إن الحديث في سورة الطور عن الغلمان، والغلمان مثل الولدان، فلماذا الولدان لؤلؤ منشور والغلمان لؤلؤ مكنون؟

هناك خصوصية في العبارة لا بد أن نلتفت إليها، الآية في الطور يقول ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾⁵ أي يوجد للغلمان خصوصية هذا من جهة، ومن جهة أخرى قبل هذه الآية بآيتين أو ثلاث آيات كان الحديث عن العائلة عن العائلة والأسرة التي ينبغي أن تكون محفوظة، والآية تقول: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾⁶ وهؤلاء الغلمان هم غلمان ينتسبون إليهم، ففي حالة الانتساب إليهم يتناسب مع الحفظ والصون.

بخلاف الولدان المخلدون الذين هم في خدمة الأبرار في الجنة، يطوفون عليهم أينما كانوا في منازل الجنة، فلا حاجة للتعبير بصونهم، بل نحتاج إلى إبراز مشهدية أمام الخيال تكون في غاية الجمال، أن هؤلاء الأبرار في حال اتكائهم وفي حال انتشارهم تحت الأرائك والعرائش وفي قصورهم وفي الظلال نجد أن هناك طائفة دؤوبة على خدمتهم، منتشرة في خدمتهم، فناسب أن يعبر باللؤلؤ المنشور.

³ الواقعة: 77 - 78

⁴ الرحمن: 56

⁵ الطور: 24

⁶ الطور: 21

فبناء على ذلك يتضح هذا التناسب بين المتشابهات.

هذا تمام الكلام فيما يرتبط بالمحطة السابعة، وبهذا يتم البحث في هذه الآية المباركة.

الآية العشرون، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

قبل أن نقف عند مفردات هذه الآية، وعند بعض مشكلاتها، لا بأس بالإطلاة السريعة إلى موقعيتها بعد ما تقدم من نعيم وآيات، هذه الآية المباركة وقعت في سياق ذكر مجموعة من النعم التي قدمها الباري تبارك وتعالى للأبرار، منها شربهم من العين التي يفجرونها تفجيراً، ومنها وقايتهم من شر ذلك اليوم الذي يخافونه، ومنها أنهم يلقون في يوم القيامة نظرة وسرورا، وأنهم بلحاظ لباسهم وبلحاظ سكنهم لهم جنة وحريرا.

وبين بعد ذلك المكان الذي يسكنون فيه، والكأس الذي يشربون منه، والخدم الذين يخدمونهم، فأرادت هذه الآية أن تفتح أمام الذهن آفاقاً واسعة أوسع من العبارة، وربما العبارات المتقدمة لا تفي هذا النعيم وهذا التنعم حقه، فجاءت الآية لتقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ فيوجد تنكير أي نعيم، نعيماً لا نعيم مخصوص، فلم يعرفه، لترك الذهن يذهب كل مذهب، ووصف هذا النعيم المنكر بقوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي فعطف على التنكير قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

فإذاً هذه الآية المباركة جاءت لتزيد في حشد هذا النعيم في ذهننا أكثر مما تستوعبه الألفاظ التي تقدمت. هذا مقتضى السياق والتناسب بين هذه الآية والآيات السابقة.

أما شرح مفردات هذه الآية والوقوف عند بعض تفصيلاتها يأتي عليه الكلام.